مجلة أبعاد (مختبر الأبعاد القيمية للتحوّلات الفكرية والسياسية بالجزائر) ISSN : 2353 – 0030
جامعة وهران2 – المجلد 07/ العدد 1 – 30 جوان 2020 EISSN: 2602-697X

جماليةُ الموتِ في شعرِ إيميلي ديكنسون

The aesthetic of death in Emily Dickinson's poetry

د. مغربي زين العابدين*[1]
logiquezino@yahoo.fr
[1] كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس– الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2020/03/19 | تاريخ القبول: 2020/05/13 | تاريخ النشر: 2020/06/30

ملخص:
يهدف هذا المقال إلى إظهار العلاقة بين الموت والجمال في قصائد إيميلي ديكنسون. لكن في البداية، نقول إنَّ الشاعرة عاشت حياة معقدة محاطة بالألم والمعاناة، لكنها أبدت حبًا كبيرًا واجهت به كل الصعاب. من خلال قصائدها، حاولت إيميلي ديكنسون تصوير إحساسها بالموت، فقدّمت مجموعة من الصور الجمالية، خاصة في قصيدة "لكنني لا أستطيع التوقف للموت".
كلمات مفتاحية: الموت؛ المعاناة؛ الجمال؛ الشعر؛ الأسلوب

Abstract:
The aim of the present article is to show the relationship between death and aesthitic in Emily Dickinson's poems. But firstly, we said that the poet lived a complicated life surrounded by pain and suffering but she showed a great love with which she faced all difficulties. Through her poems, Emily Dickinson tried to portray her feeling relates to a death, she gave it some aesthetic images, especially in the Poem I could not stop for death.
Key words : Death ; suffering ; aesthetic, poetry, style

مقدمة:

يُعدُّ الشِّعرُ فَناً أدبيًّا يرادُ منه محاكاة الحياة بنقلِ مآثرها ومن صنعوها والوقوف عند مآسيها ومن تحسَّسُوا أوجاعها، فهو فنٌ أقرب إلى الوجدان منه إلى المنطق، ما يجعلنا نقول، إنَّ الشّعر ليس مجرد نظم اختزلته أبنية القافية وإيقاعات البحور، أو يُوتوبيا، صنعها الخيالُ الأدبيُّ ليسرح في عوالم تملصت من نواميس الطبيعة

* المؤلف المرسل:

ومقتضيات الحتمية فتلوّنت مشاهدها بصور جمالية تفوح منها روائح الوجد ونسائم الحنين. إنَّ الشّعر، حتى وإن كان كذلك، فهو نافذتنا على الحياة بلغةٍ عذبةٍ رشيقةٍ تسرد خواطر تراوحت بين الأحزان والأفراح كانت قد أسرَّها الشَّاعرُ في نفسه وكتمها في جوفه لتعرف انبعاثاً جديداً في قالبٍ متميّزٍ تكون مفرداته قد تمرّدت على وحدة الوزن والنظم لما تحمله من شحنةٍ عاطفيةٍ جياشةٍ تعانقت حرارتها بأحرف الأبيات لتعلنَ عن ميلادِ ذاتٍ جديدةٍ أو تعبّر عن لحظاتٍ تعيسةٍ استمرت في رثاء حالها أو ... إنَّه الشِّعرُ الذي عدَّ فلسفة الوجود، أو بالأحرى، "تأملاً فلسفيًّا Médiation philosophique"[1]، على حال وصف "Santo Alessandro Arcole"، حين قال: "ما الفلسفةُ؛ إنّها محبةُ الحكمةِ، ما الشِّعرُ؟ إنَّه تعبيرٌ، حدسٌ وتأملٌ في المحبة... فالعلاقة بينهما أكثر تناغماً وائتلافاً، بحيث قد تكون الفلسفة في بعض الأحيان شعرية، تعطي تعبيراً جمالياً للفكر"[2].

ليس من قبيل المصادفة إذاً، أن تستوطنَ الروحُ الميتافيزيقيةُ قوافي الأبيات لتسبر أغوار الوجود والعدم، مقتفيةً دلالات ومعاني الحياة والموت والفناء والخلود كما كان عليه العهد في المنظومات الشعرية الإغريقية القديمة، ولازال الحالُ على أصله على مرّ الزمن، ففي الأدب الأمريكي المعاصر، نتعرف على الشاعرة "**إيميلي ديكنسون Emily Dickinson**" (1830-1886) التي تغنَّت بفكرة الموت في أشعارها مبكراً وتمثلتها قوةً تستمدُ منها إيمانها الذي فقدته من صرامة التعليم الديني؛ وتسترجعُ الأمل من فقدان الأصدقاء؛ وتستعيدُ معاني الحياة من جراء إحساسها المرهف الذي أنهكه المرض والوحدة والمعاناة، فقصائدها لا تخلو من صنعةٍ لفظيةٍ اكتست إبداعاً وُصِفَ أنّه: أسلوب فريد وإيقاع وحِرفية دقيقتان[3].

[1] Santo Alessandro Arcole, POÉSIE ET PHILOSOPHIE. Marcel Conche interprète de l'Iliade d'Homère, Revue philosophique de la France et de l'étranger, Presses Universitaires de France, 1 Tome 129, 2004, p 28.

[2] Ibid., p 28.

[3] W. Smith, Robert, Extraordinary Women: Grades 5-8, Teacher Created Resources, USA, 2009, p 29.

هكذا، بدت لنا الشَّاعرة الأمريكية متميّزة إحساساً؛ لغةً؛ أسلوباً وتَمثُلاً، فتناولت قصائدها مقولات وجودية بجمالية منقطعة النظير، منها: مقولة "الموت Death".

- كيف صوّرت "إيميلي ديكنسون" فكرة الموت في قصائدها؟
- وكيف تمثَّل الموتُ جمالياً؟

1. إيميلي ديكنسون من خلال قصائدها:

ولدت الشاعرة "**إيميلي إليزابيث ديكنسون** Emily Elizabeth Dickinson" في العاشر من شهر ديسمبر سنة 1830 بمدينة أمهرست Amherst ولاية مساتشوستس Massachusetts الأمريكية، وهي البنت الوسطى من بين الأطفال الثلاثة أنجبتهم أسرة "إدوارد ديكنسون"[1]. كَتبت عنها بعضُ الأقلام المعاصرة بنوع من التّفرد في الوصف والدّقة في الطرح يتبعهما الاحترام والتقدير؛ فلم تكن كمثيلاتها الشاعرات، ولا كنظرائها من بعض الشعراء، استطاعت قصائدها الولوج في مواضيع الفن، الطبيعة، الوجود، القيم... كانت أكثر من شاعرة، حَوَت العالم بداخلها بتناغماته وتناقضاته، استوعبت معاني الحياة والموت، بعد أن تجرّعت مرارتهما ومآسيهما، ولم يتسربِ اليأسُ وجدانها، بل قابلته بحزم وصبر، لا تخلو أشعارها من رمزية النور والظلام[2]، هي لغة المدّ والجزر تُجيدُ "إيميلي" لعبتها؛ فنقرأ عنها مقاربات فلسفية راقية لكبار الفلاسفة (هيخل، نيتشه، هيدغر، سارتر، ليفيناس) في مُؤلفٍ جماعيٍّ موسومٍ بـ: "إيميلي ديكنسون والفلسفة" يعود لأبر المشتغلين بقصائد "إيميلي"[3]، ناهيك عن، مقالات نُشرت ومازالت تُنشر بلغات ومقاربات مختلفة تتحسّس تجربتها الشّعرية التي غُذّيت بلغة صادقة مُرهفة تعكس كيانها المتألم وذاتها المنكسرة، هذه الخصوصية، جعلت شاعرة القرن التاسع عشر حاضرة في زماننا، بحيث تجيبُ الأديبة والمترجمة "فاطمة ناعوت" أنَّ السبب في ذلك مردّه إلى أنَّ: "قصائدها التي اخترتها -تقول- تمسُّ بامتياز واقعنا الراهن وتناوئه، كأنّما

[1] LEITER, SHARON, Emily Dickinson A Literary Reference to Her Life and Work, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, Printed in the United States of America, 2006, p 3.

[2] Fred D. White, Approaching Emily Dickinson: Critical Currents and Crosscurrents Since 1960, P 75.

[3] Voir :Jed Deppman & Marianne Noble & Gary Lee Stonum, Cambridge University Press, Emily Dickinson and philosophy, 2013.

كتبتها إيميلي الآن، قصائد عن الحب والوجع والموت والفقد، وهي تيماتٌ عابرة الزمن، والجغرافيا أيضاً، والأهم أنَّ قصائدها كُتبت بقلم عصريٍّ لا ينتمي للقرن التاسع عشر، بقدر انتمائه للحظتنا الراهنة[1]، هو سببٌ وجيهٌ جعل حضور شعرها في الفكر الإنساني لا يمحوه تعاقب الزمن ولا توالي الشعراء، وسنمتحنُ إلى حدِّ مَا تُتيحه لنا هذه الصفحات وصف "فاطمة ناعوت" لشعر "إيميلي ديكنسون".

عاشت الشاعرة "إيميلي" بين جدران الوحدة والعزلة، نُقِلَ عنها أنَّها كانت تردّد عبارة: "لا أبرح المنزل، ما لم تقودني الطوارئ باليد، ثم أفعل ذلك بعناد وأعود إن استطعت"[2]. لكن في المقابل، كانت تسدّ أوقاتها بالكتابة بين نظمِ شعرٍ وخطِ مراسلات، فقد كتبت أزيد من ألف قصيدة، سجّلت فيها مسراتها وأوجاعها وما كان يحُومُ حولها في محيطها الأسري، ومُعبرةً، أيضا، عن ما يحاكي خواطرها بصراحةٍ وصدقٍ، وأكثر من ذلك، اهتمامها البليغ بأسرار الحبّ والموت الخالدين، حتى صار عقلها يحوي قيماً متناقضةً تتأرجح بين عالم الروح وعالم المادة[3]، وقد جسدت الشاعرة حالتها المضطربة في قصيدة تُدعى: "**أنا لا أحد! مَنْ أنتَ؟ I'm Nobody! Who are you?**"، تقول في مطلعها:

I'm Nobodyl Who are you?	**	أنا لا أحد، من أنت؟
Are you - Nobody - Too?	**	أأنت لا أحد، أيضاً؟
Then there's a pair of us?	**	إذاً نحن اثنان، لا أحد
Don't tell! they'd advertise – you know![4]	**	لا تُخبر أحداً! فسينبذوننا، كما تعلم

كتبت الشاعرة "إيميلي" قصيدتها بروح فلسفية عالية، مُمتحنةً الوجود في أبرز مقولاته، إنّها مقولة "الهوية - Identity" المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثنائية الأنا والغيرية، ولعلّ هذا، يعدُّ طرحاً آخر في سياقٍ فلسفيٍّ خاصٍ به، لكن الجدير بالذكر، أنَّ المنطوقات عبّرت عن تجربة ذاتية يفيض منها قلقاً مُريباً وهواجس مُوجعة أسقطت

[1] ناعوت، فاطمة، أبناء الشمس الخامسة، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2010، ص 12.

[2] Hughes, Emily Dickinson poems selected, Faber & Faber, London, 2004, p 2.

[3] فاروق هاشم، شاعرات أمريكيات: باقة من "إميلي ديكنسون (1830-1886)"، مجلة الآداب الأجنبية، سوريا، العدد 96، أكتوبر 1998، ص ص 112، 113.

[4] Emily Dickinson, THE COMPLETE POEMS OF Emily Dickinson, EDITED BY Thomas H. Johns on, LITTLE, BROWN AND COMPANY BOSTON &TORONTO, 1960, p 133

الشاعرة "إيميلي" في لجَّة الشَّكِ والحيرةِ؛ فَكوْن الأنا تختلف عن الآخر، إلاَّ أنَّ تعيِّينها يُسحب على تعيِّين الآخر، ما يجعل الشاعرة "إيميلي" أكثر قرباً منه، تارةً، وأكثر اختلافاً منه، تارة أخرى.

تطرحُ "إيميلي" في هذا المقطع بالذات، انشغالاً وجوديًّا بامتياز، إنَّها أطروحة "الإنهمام بالذات Le souci de soi"، وهي أطروحة تتقاسمها علوم شتّى، منها الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، وقد كان لِـ "Vincent Trovato" حديثاً فيها، حِين قال: القول بأنّي شخص، يعني أنَّني ذات أخلاقية واعية مسؤولة، لها كرامة راقية، كرامة لا تختزل في مجرد جسد يحويها، أو مجرد اسم يُعرّفها، فلا يكفي أن تعرفَ اسمه حتى تعرف مَنْ هُو[1]، وحديثاً آخر لِـ " Ostrike Alicia"، حين قالت عن قصيدة "أنا لا أحد! مَنْ أنتَ؟": إنَّ إيميلي تَتخفى وراء اللاتعيّين، ليس لأنّها أكثر أخلاقاً أو أقل أنانية من الرّجال، ولا لأنّها مُمْتَثِلة لطبيعتها، ولكن لأنَّها خائفة على غرار باقي النسوة[2]، فالخوف كان مصاحباً لحياة "إيميلي" سلوكاً وفكراً ومشاعراً، فحضوره في الأبيات بصيغٍ أسلوبيةٍ مُتعدّدة يشكلّ لحظة فقدان **الأمن الوجودي**، إنَّها تبحث عن ذاتها المغتربة التي مزّقت المعاناةُ أواصرها حتى بدا الحديثُ عنها شيئاً محظوراً ينمُّ عن ضعف وانهزام، فلا سبيل عندها سوى الكتابة برمزية عالية ركزت فيها على عالمها الداخلي لتكشف عن آلامه بلغة التقابل، بحيث عملت الشاعرة "إيميلي" على عرض الألم كعامل مُثبط يُحرمنا من الدافعية ويختزلنا في طبيعتنا الجسدية، وفي المقابل، يمكن للألم أن يرفعَنَا روحيًّا ويقودنا إلى إدراك عميق للحياة[3].

إنها شخصيةٌ تفردت في صناعة عالمها؛ طوقتها العزلةُ وحاصرها الحزنُ، فأخفى عن العالم، وبالأخص أقاربها أسراراً لم تكن "إيميلي" لتطلعهم عليها، وكأنَّ بمانعٍ نفسيٍّ شديدٍ شدّها عن البوح والإفصاح عنها، لكن المانعَ أطلق سبيلها في نظمِ شعرٍ بلغة أقل ما تُوصف أنّها ميتافيزيقية، كل جزء من أبيات أشعارها يعكس مشهداً من مشاهد

[1] Vincent Trovato, Esthétique de l'existence: de la connaissance de soi, L'Harmattan, 2006, p 10, 12

[2] Ostrike, Alicia Writing Like a Woman, the University of Michigan, USA, 1983, p 1.

[3] Smith, Jadwiga & Anna Kapusta, Writing Life : Suffering as a Poetic Strategy of Emily Dickinson, Jagiellonian University Press, 2013.

Writing Life : Suffering as a Poetic Strategy of Emily Dickinson, p 09.

الحياة وما بعدها، فجِيئت أشعارها بلغة التشبيه Simile، والاستعارة Metaphor، والكناية Metonomy، والاستعارة المجردة Personification، إنَّه أسلوب الشاعر حتماً، لكن "إيميلي" أَضْفت عليه صنعةً جعلت من عموم قصائدها تأبى الرُّكون والسُّكون نقيض حالها بين جدران البيت. هي حكمة الإغريق قديماً؛ إنَّها شاعرة تخشى الفراغ كما تخشاه الطبيعة.

بل أكثر من ذلك، وُصِف أسلوبها الشّعري بأنَّه "مدرجٌ موسيقيٌّ Une portée musicale"، تقول الشاعرة الفرنسية "Claire Malroux": يُقدِّمُ الشّعرُ الديكنسيُّ -نسبة إلى ديكنسون- نفسه على أنَّه بِنية جويّة Structure aérienne؛ سقالة سلَّمية بدلاً من بناءٍ بالمعنى الدقيق للكلمة، تتكون تلك السقالات من توليفةِ كتل من كلمات تَجاوُرها بسيط في كثير من الأحيان، بدون إسمنت ولا وصلة نقر ولسان كما هو في صناعة الخشب، مفصولة بشَرطةٍ تشبه نقاط ارتكاز ملحوظة لهيكل غير مرئي، إنَّها بنية تُحيلنا إلى مدرج موسيقي[1].

هذه المقاربة الفنية الموسيقية التي أحالتنا إليها الشاعرةُ والمترجمةُ "Claire Malroux" تُعلن أنَّ "إيميلي" لم تخط حروف شعرها لمجرد شغفٍ أو تعبيرٍ عن حالة وجدانية ما، كما لم تكن لحظات الكتابة عندها مجرد مرافق، تستأنس بما تكتب كلما ضاق عليها الحالُ، إنَّ الشِّعرَ عند "إيميلي" فضاءٌ رحبٌ واسعُ الأفق تعود إليه "إيميلي" لتسترد كينونتها وتلطف أوجاعها بعبارات أحسنت نحتها وانتقاءها، وبإيقاعٍ فنيٍّ أسهم انتظامُ منطوقاته في إخراجه نغمات موسيقية يتلقفها المتلقي بانشراح وتفاعل حتى وإن كان المُتحدث عنه، هو "الموت".

هي لمسةٌ جماليةٌ مُرهفةٌ لعبارات أَخْفت وراءها عمق الألم والمرارة والمعاناة التي كانت تعيشها. بين هذين الرافدين؛ **جمال الأسلوب وألم الموت**، تصف "إيميلي" نفسها في قصيدة "**شعرتُ بمأتم في رأسي/ I felt a Funeral, in my Brain** " بأنَّها تحيا لحظة مأتمٍ، فيها أضحت روحها مُعلقة بين الحياة والموت، لا تستطيع لملمة أفكارها التي تناثرت هنا وهناك، ولا تستطيع استعادة روحها التي حُصرت، إنَّها تجربة شبيهة بالموت، تقول

[1] Malroux, Claire, Le phrasé d'Emily Dickinson : l'ordre des notes, Palimpsestes N°7 : l'ordre des notes, Presses de la Sorbonne Nouvelle, 1993, p 74.

عنها "SHARON LEITER" تأخذنا إلى عوالم اخترقت إدراكاتنا لا نجد لها كلمات وصفية مشتركة بينها[1]، فهي تقول في مطلع القصيدة:

I felt a Funeral, in my Brain,	**	شعرت بمأتم في رأسي
And Mourners to and fro	**	جموع المشيّعين يغْدُون ويروحون
Kept treading - treading - till it seemed	**	استمرّوا يمشون ويمشون، حتى بَدا
That Sense was breaking through -[2]	**	ذلك الإحساسُ أنّهُ يغور.

إنَّ معاني تلك الأبيات وما أتى بعدها يعبّر عن حالة الجنون الإبداعي الذي وُصِفت به "إيميلي"، فتمثلها للموت أنَّه مأتم جعل المتلقي يستقبله كلوحةٍ فنيّةٍ، كلما أمعنا النظر فيها أحالنا تداخلُ صورها (مشاهدها) إلى ما هو أعمق، هي رحلةٌ نحوَ قاع الروح، لكن سرعان ما تتلاشى هذه الصورة في أخر أبيات قصيدتها أين استرجعت "إيميلي" وعيها، هو حلم أدركت من خلاله أنَّ المقدمات التي بنت عليها عالمها بدأت تتداعى، فعودة اللامعرفة مع المعاناة والألم تجعلها غير قادرة على إيجاد الكلمات المماثلة للواقع[3]، إذ تقول:

And then a Plank in Reason, broke, And I	**	ثم اللوح الخشبي بدون سبب انكسر
dropped down, and down - And hit a World, at	**	وسقطتُ إلى الأسفل عميقاً، عميقاً
every plunge,	**	وارتطمتُ بالعالمِ عند كلّ سقطةٍ
And Finished knowing - then -[4]	**	توقفَ وَعْيِّ، حِينها

للأسف، لم تجد "إيميلي" فراشاً ناعماً تتوسده، ولا كساء يحميها من قساوة الخلوة ووحشيتها. لذا، جاءت قصائدها تعكس إلى حدٍّ كبيرٍ العالم المضطرب الذي كانت تعيشه، ولنا في ذلك وقفة مع مقولة "الموت" ورمزيته الجمالية في شعر "إيميلي ديكنسون".

[1] LEITER, SHARON, Emily Dickinson A Literary Reference to Her Life and Work, p 97.

[2] Emily Dickinson, THE COMPLETE POEMS OF Emily Dickinson, p 128.

[3] Kirkby, Joan, Women writers, Emily Dickinson, MACMILLAN EDUCATION LTD, London, 1991, p p 34, 35

[4] Emily Dickinson, THE COMPLETE POEMS OF Emily Dickinson, p 129.

2. رمزية الموت وجماليته في قصائد إيميلي:

تحضر فكرة الموت في قصائد "إيميلي" حضور الوتد في تثبيت الخيمة، كما يقال في أمثال العرب؛ فلأنّ قصائدها لا تستقيم ولا يترسخ معناه إلاّ بنفاذ عباراتها عوالم الفناء والتوقف، فكثيرة هي الأبيات الشّعرية التي حضرت فيها فكرةُ الموتِ مفهوماً صريحاً، حِين تستعمل "الموت" بتمام اللفظ؛ أو رمزيًّا في عبارات "الفناء؛ الخلود..." لتتخفى وراءه أحزانها وآلامها؛ أو مُشخصناً في مفاهيم "الرجل النبيل؛ الوحش..."، وفي كل الحالات، استقت فكرةُ الموتِ دلالتها من الحالة الوجدانية التي عاشتها الشاعرة "إيميلي" في أحضان أسرتها وبين رفقائها، تارةً، وفي وحدتها وانعزالها، تارةً أخرى وهي الحالةُ الغالبةُ في حياة "إيميلي".

كَتبت الشَّاعرةُ "إيميلي" المئات من القصائد، وقد ازدادت وتيرة الكتابة عندها كلّما تقدّمت في السّن، واتّسمت أغلبيتها بالقصر، وكانت تدور حول موضوع "الموت"، حيث شكّل تيمةً أساسيةً تكاد تكون هي مدار أشعارها؛ وقد استطاعت أن تجمع بين الموت في سلبيته وما يحمله من نشوة، تارةً؛ وبين انتفائه للحياة وبعثه لها مجدداً، تارةً أخرى، هكذا هي ثنائية الموت في قصائد "إيميلي"، تُسردها لغة الجدل، ولغة التناقضات. ففي مقال لِـ "عمر سعدون عايد" في "نشوة الموت عند إيميلي ديكنسون"، وآخر لِـ "مثنى مكي محمد" في "جدلية اللذة والألم في شعر ديكنسون" على سبيل الذكر، تتَّضح برعاة الشّاعرة في الجمع بين النقيضين؛ **حتمية الموت وجمالية المصير**. ولأنَّ البحث في مقولة الموت من خلال أشعارها التي تجاوزت الألف يُعدُّ صعب المنال في هذا المقام، فقد خصصنا استجلاء المعاني الجمالية من فكرة الموت من بعض قصائدها الأكثر شهرةً وتداولاً، منها قصيدة "**لأنني لم أستطع التوقُّفَ للموتِ Because I could not stop for death**"، تقول "إيميلي":

Because I could not stop for Death	**	لأنّني لم أستطع التوقُّفَ للموت
He kindly stopped for me-	**	توقف هُو برفقٍ من أجلي-
The Carriage held but just Ourselves-	**	حملتنا العربةُ وحدنَا-
And Immortality.[1]	**	ومعنا الخلود.

تُظهِرُ الشاعرة "إيميلي" في قصيدتها هذه، براعة في التّصوير وسعة في الخيال، حيث استطاعت أن تُجسد مشهدًا إنسانيًّا راقيًّا يجمعها مع "الموت"، لا، ليس الموت ذاته والمتعارف عليه في المخيال الشّعبي بالتجربةِ المَخُوفةِ لما تُحدثه من ضيقٍ في الوجدان وانمحاءٍ للذات، وإنَّما الموت الذي تراه "إيميلي" في صورة "العشيق Lover" الذي لا يأخذها، بل يرافقها في رحلتها نحو الخلود[2]، ويصفه "Allan Burns" قائلاً: بأنَّه رجلٌ نبيلٌ تبدُو عليه علامات الوقار والحشمة، يدعوها لمصاحبته في رحلة طويلة على متن عربة، لا يكون فيها سواهما والخلود، وما كان لِـ "إيميلي" إلاَّ أن تستجيب لهذه الدعوة، هي لغة تهكمية عالية[3]، وظَّفتها الشاعرة لتنسج "أليغوريا الموت Allegory of death"، علماً، أنَّ "الأليغوريا" في مصنَّفات البلاغيّين -على صعوبة تحديد مفهومها- تعني: أن تقول شيئاً وتقصد شيئاً آخر، وهذا الحدّ الذي لا يعدو أن يكون توسعاً في كلمة Allegorein اليونانية يميّز هذه الصورة بخصيصة أساسية، تتمثّل في ازدواجية المعنى، فالمعنى الظاهر في الأليغوريا يحيل على آخر خفيّ بسبب المشابهة بينهما[4]، يُفهمُ من هذا، أنَّ الموت المُتحدث عنه ليس مقصوداً لذاته، بل المقصور المعنى المتخفي وراءه، والكامن في تلك الصورة الحقيقية التي يمكن للموت أن يأخذها، صورةُ "الرجل الوسيم المُرحب به لدى الجميع"[5].

[1] Emily Dickinson, THE COMPLETE POEMS OF Emily Dickinson, p 350.

[2] Raia Abdul-Wahid Abdul-Aziz, Death in Some of Emily Dickinson's -Selected Poems, Buhuth Mustaqbaliya Scientific Periodical Journal, Publisher: Al-Hadba University College , V3, Issue 40, Iraq, 2012, p 10.

[3] Burns, Allan, Thematic Guide to American Poetry, GREENWOOD PRESS, London, 2002, P 70.

[4] النصري، فتحي، شعرية الأليغوريا: مدخل إلى دراسة الصور السردية في الشعر الحديث،الدار التونسية للكتاب، 2015، ص ص 29، 30.

[5] Omar Sadoon Aied, The Ecstasy of Death in Emily Dickinson's Because I Could Not Stop For Death, Anbar University Journal of Language & Literature, Publisher: University of Anbar, Iraq, Issue:16, 2014, p 86.

هي إذاً قصة رمزية استَعملت فيها "إيميلي" الاستعارة والرمز بشكل كبير لتكسح **المشهد المُعلق بين الحياة والموت**، وكانت "إيميلي" قد عبَّرت عن هذه الوقفة في قصيدة موسومة بِـ "**سمعتُ طنين الذبابة لَمَّا متُّ I heard a Fly buzz - when I died** "، تقول في مطلعها:

I heard a Fly buzz - when I died	**	سمعتُ طنينَ الذبابة لمَّا متُّ
The Stillness in the Room	**	السُّكونُ في الغرفة
Was like the Stillness in the Air	**	مثله، مثل سكون الهواء
Between the Heaves of Storm[1]	**	بين هبات العاصفة

هذه القصيدة تدعُو إلى التَّأمل في لحظة مفارقة تجمع بين الحياة والموت، تُدعى عند "إيميلي" بِـ "Dying" المُشتقة من اسم Death، لكن "Dying" يختلف عن "الموت Death"، في كون الأوّل يُعبّر عن طور من أطوار الحياة، بينما الآخر، يعبّر عن المآل، فحديث النّاس عن "الموت الحسن" يدعوهم أحياناً إلى التفكير في مسار الموت، وحينها يكون الموت بمفهوم "Death" هو نهاية الحياة[2]، هكذا، بدا لنا تفكير "إيميلي" بمسحة روحية تستبق من خلالها مجريات الحياة الأبدية لِمَا بعد القبر.

تستأنفُ "إيميلي" حديثها عن الموت، قائلةً في المقطع الثاني والثالث من قصيدتها "**لأنني لم أستطع التوقُّفَ للموتِ**":

[1] Emily Dickinson, THE COMPLETE POEMS OF Emily Dickinson, p 223.

[2] ROBERT KASTENBAUM, Macmillan EnCyclopedia of Death and Dying, Volume 1 : A-K , Printed in the United States of America, 2002, P 337.

We slowly drove - He knew no haste	**	قُدنَا العربةَ بتأنٍ
And I had put away	**	لم يكن يعرف العجلة
My labor and my leisure too,	**	وكنتُ تخلَيْتُ عن عملي وأوقات راحتي
For HIS Civility	**	لأجل أدبه-
We passed the School, where Children strove	**	مررنا بالمدرسة حيث يتبارى الأطفال
At Recess - In the Ring	**	في يومِ إجازةٍ، يتلاكمون
We passed the Fields of Gazing Grain-	**	مررنا بحقول الحبوب وهي تحدّق
We passed the Setting Sun[1]	**	مررنا بالشمس وهي تغيب

هي رحلةٌ نحو العالم الآخر، تحصيلاً للخلود والذي لن يكون إلاَّ بالموت، تقول " Raia Abdul-Wahid"[2]، وقد جسدت الشاعرةُ "إيميلي" هذه الرّحلة الطويلة بصحبةِ صداقةِ رجلٍ وسيمٍ على متن عربة الخلود تجُوب ذكريات الطفولة الحافلة بالبراءة بخطى متثاقلة، إلى أن تغرب الشمس، وهي لحظة انطفاء الحياة.

هذا التدرج في السرّد، يعطي انطباعاً، أنَّ الموت، يقول "عمر سعدون عايد": مِثل الرّجل الحكيم، حريص على أداء جميع أفعله، هذه الميزة، تجعل المتكلم يشعر بالرّاحة، لأنَّ الموت لن يأتي على فعل متسرع ليأخذ روحها حِينها، لذا، فقد انتظرت الشّاعرة للتخلص من حياتها البائسة نحو حياةٍ جديدةٍ، أبديةٍ أجمل، إنَّ هذا الوصف، يُظهرُ الموت أكثر احتراماً وأدباً[3]، كيف لا يكون كذلك، وهي تعرض بصحبته أطوار الحياة بعبارات رقيقة تستعطف بها المتلقي وتستذكره بحياته؛ فمرورهما بالطفولة، أين يلعب الصغار ثم بحقول الحبوب وهي تحدّق، وهي مرحلة النضج وأخيراً مرورهما بغروب الشمس، وهو المنعطف الآخر الذي ينتظرها[4]، ثلاث صورٍ اختزلت الحياة، وكلّها تنبض بحسٍّ جماليٍّ ساخنٍ أسهم بقدر كبير في تحريك المشهد اليومي بإيقاعٍ فنيٍّ يُغذيه نقاء

[1] Emily Dickinson, THE COMPLETE POEMS OF Emily Dickinson, p 350.

[2] Raia Abdul-Wahid Abdul-Aziz, Death in Some of Emily Dickinson's -Selected Poems, Buhuth Mustaqbaliya Scientific Periodical Journal, Publisher: Al-Hadba University College, V3, Issue 40, Iraq, 2012, p 9.

[3] Omar Sadoon Aied, The Ecstasy of Death in Emily Dickinson's Because I Could Not Stop For Death, p 88.

[4] Ibid., p 90.

السريرة وجمال الطبيعة، ولا تأبى تلك الصّور إلاّ أن تتمثل في لوحةٍ فنيةٍ تسرد هذا الانحدار في الزمن بكل تناغم وتآلف.

فحديث الشاعرة عن الموت تغمره نبرة الودّ والاستعطاف، وفي لغتها، تقول "Claire Malroux": تكتبُ إيميلي بالحبّ ولأجل الحبّ وليس في الحبّ، إنَّها تكتب ضدَ الفُرقةِ، الفقدان، الغياب، الاكتئاب والعدم، وكلّها، تقول "Claire Malroux" هي صور لفكرة الموت[1]، ما يجعلُ الكاتبة تختمُ مَقالهَا بوصف الشاعرة "إيميلي ديكنسون" بِـ "الرُوح المُحبة "[2]، تماشياً مع قصيدتها الموسومة "**لقد متُّ من أجل الجمال I died for beauty**"، والتي تقول فيها:

لقد متُّ من أجل الجمال، لكن حالما	**	I died for beauty- but was scarce
وضعتُ في القبر	**	Adjusted in the tomb,
استلقى من كان قد مات من أجل الحقيقة	**	When One who died for truth ? was lain
في حجرة مجاورة	**	In an adjoining room-
سأل برقةٍ لماذا فارقتُ الحياة	**	He questioned softly why I failed ?
"من أجل الجمال" أجبتُ	**	"For beauty," I replied-
وأنا من أجل الحقيقة، كلاهما واحد	**	"And I- for truth- Themself are One
نحن أخوةٌ، قالَ	**	We brethren, are," he said-
وهكذا، مثلما يلتقي الأقاربُ ليلاً	**	And so, as kinsmen met a Night-
تبادلنا الحديث عبر الحجرات	**	We talked between the rooms-
حتى وصلَ الطحلبُ شفتينَا	**	Until the moss had reached our lips-
وغطى اسمينَا[3]	**	And covered up -our names-[4]

[1] Malroux, Claire, Poésie de l'intime et journal intime : Emily Dickinson et Eugénie de Guérin, Littératures : Voi(es)x de l'autre: poètes femmes, XIXe-XXIe siècles, Etudes réunies et présentées par Patricia Godi-Tkatchouk, P.U. Blaise Pascal, 2010, p 88.

[2] Malroux, Claire, Poésie de l'intime et journal intime : Emily Dickinson et Eugénie de Guérin, p 90.

[3] فاروق هاشم، شاعرات أمريكيات: باقة من "إميلي ديكنسون (1830-1886)"، ص 119.

[4] Emily Dickinson, THE COMPLETE POEMS OF Emily Dickinson, p 350.

خاتمة:

لم تكن قصائد "إيميلي ديكنسون" متميّزة أسلوباً ولغةً فحسب، بل طريقة عرضها ونوعية الألفاظ التي تجتبيها، فضلاً عن الإيقاع الفني الذي يُصاحب أحاسيسها المتقلبة والمتناقضة أحياناً كثيرة، جعلت قصائدها خالدة يتناقلها الأدب العالمي؛ فحديثها عن "الموت؛ الخلود؛ الحب؛ الجمال ..." لم يكن حديثاً عرضياً، وإنّما حديثاً عكسته حياتها النفسية والاجتماعية بالدرجة الأولى، وهذا بدوره فرض أسلوباً مُحدداً في صياغة بنية النص الشعري من حيث النبرات الصوتية التي تميّزت بها أشعارها، ومن حيث دلالة الألفاظ وتراكيبها. كما أنَّ التميّزَ الشعري لدى "إيميلي ديكنسون" وسَّعَ من مجالات الدراسة، حيث عرفَ شعرُها مقاربات فنية وسيكولوجية وفلسفية واجتماعية حاولت فهم صمتها المُريب وعالمها الدّاكن، وفي مقابل، امتازت أشعارها بروح عالية من التفاؤل للحياة وإخلاص منقطع النظير للصبر وللحبّ، إنَّها بحق شاعرة الحبّ والموت، شاعرة النور والظلام، اختزلها الزمن، فلم يكن نصيبها من الدنيا سوى ست وخمسين سنة، في حين كان حضورها ولازال في الذاكرة الإنسانية قويًّا، فليس من الغرابة إذاً، أن نقرأ في شعر "إيميلي ديكنسون" عن الموت بجمالية وأن نتحسّسَ مشاهده بروحٍ فنيةٍ جذابةٍ وإيقاعٍ موسيقيٍّ عالٍ، لطالما أحَبت الموت، وكانت تنتظره بشغف ليعلن عن ميلادٍ آخر، عن يومٍ جديدٍ سِمتهُ الأزلية والخلود.

قائمة المراجع:

1. ناعوت، فاطمة، أبناء الشمس الخامسة، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2010.

2. النصري، فتحي، شعرية الأليغوريا: مدخل إلى دراسة الصور السردية في الشعر الحديث، الدار التونسية للكتاب، 2015.

3. Emily Dickinson, THE COMPLETE POEMS OF Emily Dickinson, EDITED BY Thomas H. Johns on, LITTLE, BROWN AND COMPANY BOSTON &TORONTO, 1960.

4. W. Smith, Robert, Extraordinary Women: Grades 5-8, Teacher Created Resources, USA, 2009.

5. LEITER, SHARON, Emily Dickinson A Literary Reference to Her Life and Work, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, Printed in the United States of America, 2006, p 3.Fred D. White, Approaching Emily Dickinson: Critical Currents and Crosscurrents Since 1960.

6. Jed Deppman & Marianne Noble & Gary Lee Stonum, Cambridge University Press, Emily Dickinson and philosophy, 2013.

7. Hughes, Emily Dickinson poems selected, Faber & Faber, London, 2004.

8. Vincent Trovato, Esthétique de l'existence: de la connaissance de soi, L'Harmattan, 2006.

9. Ostrike, Alicia Writing Like a Woman, the University of Michigan, USA, 1983.

10. Smith, Jadwiga & Anna Kapusta, Writing Life : Suffering as a Poetic Strategy of Emily Dickinson, Jagiellonian University Press, 2013.

11. Kirkby, Joan, Women writers, Emily Dickinson, MACMILLAN EDUCATION LTD, London, 1991.

12. Burns, Allan, Thematic Guide to American Poetry, GREENWOOD PRESS, London, 2002.

13. ROBERT KASTENBAUM, Macmillan EnCyclopedia of Death and Dying, Volume 1 : A-K , Printed in the United States of America, 2002.

14. Malroux, Claire, Poésie de l'intime et journal intime : Emily Dickinson et Eugénie de Guérin, Littératures : Voi(es)x de l'autre: poètes femmes, XIXe-XXIe siècles, Etudes réunies et présentées par Patricia Godi-Tkatchouk, P.U. Blaise Pascal, 2010.

المجلات:

1. فاروق هاشم، شاعرات أمريكيات: باقة من "إميلي ديكنسون (1830-1886)"، مجلة الآداب الأجنبية، سوريا، العدد 96، أكتوبر 1998.

2. Malroux, Claire, Le phrasé d'Emily Dickinson : l'ordre des notes, Palimpsestes N°7 : l'ordre des notes, Presses de la Sorbonne Nouvelle.

3. Santo Alessandro Arcole, POÉSIE ET PHILOSOPHIE. Marcel Conche interprète de l'Iliade d'Homère, Revue philosophique de la France et de l'étranger, Presses Universitaires de France, 1 Tome 129, 2004.

4. Raia Abdul-Wahid Abdul-Aziz, Death in Some of Emily Dickinson's -Selected Poems, Buhuth Mustaqbaliya Scientific Periodical Journal, Publisher: Al-Hadba University College, V3, Issue 40, Iraq, 2012.

5. Omar Sadoon Aied, The Ecstasy of Death in Emily Dickinson's Because I Could Not Stop For Death, Anbar University Journal of Language & Literature, Publisher: University of Anbar, Iraq, Issue:16, 2014.